محاضرة 08

الجزائر ووحدة المغرب العربي الى غاية عام 1939 :

تمتد العلاقات الجزائرية المغاربية في الماضي البعيد، فقبل الوجود الاستعماري كان سكان الجزائر والمغرب وتونس وليبيا يشكلون مجموعة متجانسة ومتضامنة تشد بنيانها الوحدة الدينية التي سهرت بين العرب والبربر ونجاح تجارب الوحدة الوسيطية على يد المرابطين والموحدين وتوثيق علاقات الروابط الاقتصادية والثقافية وجمع بينها الجوار الجغرافي وما يفرضه من احتكاك وتعايش.

وتدعمت هذه العلاقات والروابط في العهد الاستعماري إذ مثل احتلال الجزائر انتكاسة شعر بها الضمير المغربي وعبر عنها في أشكال تضامنية مختلفة تجسدت في الاشتراك في الجهاد ضد الكافر الأجنبي ونصرة المقاومات الشعبية واحتضان الجزائريين في الأقطار المغاربية، وهكذا شاركت كثير من القبائل المغربية في مقاومة الأمير عبد القادر واعتبر تخلي السلطان عبد الرحمان عن نصرة هذه المقاومة درس استفادت منه النخب المقاومة عندما لم يتوانى المستعمر في احتلال تونس والمغرب انطلاقا من الجزائر وهكذا كان تعميم الاحتلال عاملا من عوامل الوحدة بين الأقطار المغاربية الثلاث.

وعلى الرغم من حرص الاستعمار على عزل الجزائر عن تونس والمغر ب فإن حركة الهجرة ربطت الجزائر بهذه الأقطار، وكانت حركة هجرة الجزائريين إلى المغرب وتونس نشيطة، إذ تذكر المصادر أن المهاجرين الجزائريين الذين استقروا بالمغرب فاقت أعدادهم في عام 1907 العشرين ألفا غالبيتهم من عائلات محافظة انتقلت من الغرب الجزائري لتستقر في المغرب حيث الاحتضان الشعبي وحماية السلطان، وكانت تونس مقصدا رئيسيا للمهاجرين الجزائريين لجئت الكثير من عائلات قسنطينة وبجاية ووادي سوف وبسكرة...الخ، ولجأ إليها الثوار للاستقرار، وقصدها كذلك أهل ميزاب للعلم والتجارة وقد اشتهر الجزائريون في تونس في مجال العلم و السياسة وأصبح الكثير منهم قادة للحركة الوطنية ويكفي أن

نذكر أن حسن قلاتي وعبد العزيز الثعالبي ومحمد السنوسي وحسن لعريبي ومحمد النوري والطيب المهيري([1])، جميعهم من عائلات جزائرية استقرت في تونس وقد قدرت بعض الإحصائيات أعداد الجزائريين في تونس عام 1950 بخمسين ألفا ومن اكبر جالياتهم أهل سوف والمقرانيون وزواوة.

وكانت الهجرة إلى ليبيا شائعة باعتبارها منطقة امن و عبور وا ٍن كان لم يستقر بها الكثير من الجزائريون وكان التعاون الليبي الجزائري وثيقا في سنوات جهاد الحركة السنوسية خاصة وأن هذه الحركة ترجع في أصولها إلى الجزائر ([2])، وأنها استطاعت أن تثور كثيرا من مناطق الصحراء الجزائرية ضد فرنسا وشارك الشعب الليبي الجزائريين في كثير من المواجهات الحاسمة ضد الاحتلال الفرنسي خاصة في بداية القرن العشرين، وقد خلف حدث احتلال ايطاليا لليبيا عام 1911 صدى واسعا في الجزائر وتطوع آلاف الجزائريين في حركة الجهاد الليبي، وكان من بينهم حفيد الأمير عبد القادر علي باشا وابنه عبد القادر، ومصطفى عوني التفراوي المعسكري([3])، وقد ساهمت حركة الهجرة في التأكيد على أواصر الأخوة والتضامن المشتركة .

وأدى تردد الطلبة الجزائريين على المعاهد الدينية في تونس والمغرب وقدوم الطلبة التونسيين والمغربيين للدراسة بجامعة الجزائر الفرنسية وكذا تزايد حضور الطلبة الشمال إفريقيين في الجامعات الفرنسية إلى تعزيز الروابط بين النخب المثقفة وهي روابط وطدت العلاقة بين مختلف المشارب الفكرية والأحزاب الوطنية التي قامت على أكتفاهم وقد عززت الصحافة والجمعيات وتلك الزيارات التي كان يقوم بها بعض العلماء والزعماء إلى الجزائر (محمد عبده، محمد بيرم التونسي، عبد العزيز الثعالبي...) الروابط الدينية والقومية التي تشد الجزائر إلى المشرق العربي والتي عبر عنها شكيب ارسلان في دعوته إلى وحدة الحركات

---

[1] توجد ملفات خاصة عن حياة هؤلاء السياسيين بمركز التوثيق القومي، ونشير إلى أن الطيب المهيري تولى وزارة الداخلية في أول حكومة تونسية وكانت له علاقات وطيدة مع المسؤولين الجزائريين .

[2] أسس الطريقة السنوسية العالم أحمد الشريف السنوسي الذي هاجر من الغرب الجزائري، واستقر في ليبيا، وأنشأ الزاوية البيضاء سنة 1842، وقد توسع نفوذ الحركة على عهد محمد السنوسي الذي خاض جهادا مريرا ضد الفرنسيين في ليبيا وصحراء الجزائر والتشاد.

[3] انظر أبوالقاسم سعد الله : **التاريخ الثقافي للجزائر**، ج5، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص . ص، 489495.

النضالية وارتباطها بفكرة الأمة العربية ومساعيه في الربط بين مختلف الزعامات و المشارب الفكرية لصالح تحرير المغرب العربي .

وقد بلور عمر راسم وابن قدور والأمير خالد ثم نجم شمال إفريقيا فكرة الوحدة بين الأقطار المغاربية، و عمل النجم على نشرها في أوساط الهجرة وعزم على إقناع جميع المغاربة بها من خلال صحافته ومؤسساته ونداءاته وقد مثل واقع الهجرة لحظة ملائمة للجاليات الجزائرية والتونسية والمغربية في الاحتكاك والوحدة، فانعقد في أواخر 1924 اجتماع في باريس لتدارس أوضاع الأقطار المغاربية، خلص المؤتمرون فيه للتنديد بالاستعمار و الدعوة إلى التنسيق و التضامن كما وجه رسالة تهنئة للشعب المغربي وزعيمه الخطابي على الانتصار المحقق ضد الاستعمار الاسباني "إن العمال المغاربة لمعامل الناحية الباريسية المجتمعين بمؤتمرهم الأول في هذا اليوم التاريخي 07 ديسمبر 1924 يهنئون إخوانهم المراكشيون وزعيمهم البطل عبد الكريم بانتصارهم على الاستعمار الاسباني و يصرحون بتضامنهم معهم في كل ما من شانه أن يحرر بلادهم و يشاركونهم في الهتاف باستقلال الشعوب المضطهدة وسقوط الاستعمار العالمي و الاستعمار الفرنسي ..."([4])، وقد رصدت الإدارة الفرنسية توجه نجم شمال إفريقيا إلى خلق جمعيات سياسية في تونس والمغرب تتواصل فيما بينها بتبادل الصحف والوفود وعملت على مجابهة هذا المخطط الذي ربطه كعادتها ب "الحركة الشيوعية"([5])

وقد تقو ّى المناضلون المغاربة ونجم شمال إفريقيا بالحركات الشيوعية التي تصدت للامبريالية وطالبت بتحرر الشعوب المضطهدة و منها أقطار الشمال الإفريقي وصدع مصالي من على منابر الأممية الثالثة منذ 1927 باستقلال الجزائر والمغرب العربي ويعد جل الباحثين نجم شمال إفريقيا أول تنظيم تبنى مبدأ الاستقلال ودعا إليه، ورائد في طرحه لإستراتجية العمل المغاربي المشترك خاصة على ضوء الجهود والاتصالات التي ربطها مع المناضلين مع التونسيين والمغربيين وبرنامج العمل المشترك الذي تبناه وهو لم يتخلى عن العمل المشترك إلا بعد أن تأكد من سطوع نجم الحركة الوطنية في تونس

---

[4] انظر علال الفاسي :**المصدر السابق**، ص 13.

[5] **AQO** AFRIOUE 1918 – 1940 A- S série k b 102 DOS 1135

والمغرب منذ 1930وا إن كان قد ركز على الاهتمام القطري إلا أن البعد المغاربي ظل أسا هاما في نضاله وا إستراتجية كفاحه الثوري ([6]).

وقد رعى نجم شمال إفريقيا في فرنسا جمعية الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا منذ عام 1927 وهي جمعية تهدف إلى تعزيز عرى الصداقة والتضامن بين الطلاب المغاربة ورعاية مختلف شؤونهم وبفضل نشاط هذه الجمعية السياسي الثقافي تعارف طلاب الشمال الإفريقي وتعاهدوا على العمل المشترك في مواجهة الاستعمار وقد نقلت نشاطها إلى أقطار المغرب العربي من خلال تنظيمها لمؤتمرات سنوية تعالج مختلف قضايا المغرب العربي وكان لها دور رائد في توجيه النضال الوطني وفق منطق ومبادئ نجم شمال إفريقيا خاصة وان أعضائها تولو فيما بعد قيادة الحركة الوطنية المغاربية ومنهم فرحات عباس ولحبيب بورقيبة وحسن الوزاني وقد تعارف مصالي الحاج([7]) وبورقيبة منذ عام 1926 عندما نظمت جمعية الطلبة حفلا ألقى فيه الشاب لحبيب بورقيبة خطابا باسم الطلبة الحاضرين وفي فيفري 1937 جاء بورقيبة إلى باريس للمشاركة في التنديد بقرار حل النجم من قبل حكومة الجبهة الشعبية ودفع بحزبه باتخاذ قرار الإضراب التضامني مع الجزائر والمغرب واستمر بعدها التنسيق المشترك وتبادل الرسائل بين الزعيمين ([8])، وارتبط بورقيبة كذلك بعلاقات حميمية مع فرحات عباس منذ أيام الدراسة وأبى إلا أن يقدم له النصح بدعوته إلى تأكيد وجود الأمة الجزائرية وعدم التشكيك في ذلك مطلقا لان مثل هذا الأمر يخدم السياسة الفرنسية التي تصر على إنكار وجود الشعب الجزائري والشعب التونسي([9]).

---

[6] انظر امحمد مالكي :**المرجع السابق**، ص_ص، 272 . 279، وعامر رخيلة: **البعد المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية 1926. 1958**، رسالة دكتوراه، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1997 ص . ص، 26 . 282.

[7] مصالي الحاج (1898 . 1974)، مؤسس النجم وزعيم الحركة الثورية الجزائرية بدأ نضاله في فرنسا وتعرض للاضطهاد والاعتقال، عارض المركزيين ودافع عن زعامته للحزب ومن أجل ذلك رفض الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني وعارضها.

[8] انظر محمد مزالي :**آفاق بناء المغرب العربي**،ملتقى نظمه الحزب الدستوري الاشتراكي، فيفري 1984، تونس، طبع، ش ف ر، تونس، 1984، ص . ص، 8 .16

[9] **المصدر نفسه**، ص . ص، 14.15